المشاركة الطائفية والمشاركة الوطنية

لم يكتنف الغموض تعبيرا سياسيا كالغموض الذي يكتنف شعار « المشاركة » كما اطلقه بعض السياسيين في الاونة الاخيرة . فالمشاركة هي بالفعل مطلب ملح ولا بد منه ، ولكن المشاركة التي يطالب بها السياسيون تختلف عما هي كمطلب وطني .

فهي في اذهان السياسيين مطلب طائفي ، او جسر للعبور الى المناصب لاقتسام الغنائم التي يبدو انها غير موزعة توزيعا «عادلا» بين هذه الطائفة السياسية او تلك ، او بين هذه الطائفة من السياسيين او تلك .

وهذا النوع من المشاركة لا يخل به نظام كالنظام اللبناني لانه قام في الاصل عليه وان اختلت فيه القسمة بعض الشيء من عهد الى عهد . الم يكن رياض الصلح شريكا للشيخ بشارة الخوري ثم تضاءلت هذه المشاركة؟ الم يكن سامي الصلح شريكا لكميل شمعون حتى النهاية؟ الم يكن رشيد كرامي شريكا لفؤاد شهاب ومن بعد لشارل حلو طيلة عشر سنين ؟

ولماذا لم يثر احد موضوع المشاركة عندما كان صائب سلام شريكا لسليمان فرنجيه في السنتين الاولين من العهد ؟ وهل كانت اوضاع البلاد افضل مما هي عليه الان ؟

اما المشاركة المطلوبة والملحة فهي المشاركة الوطنية والشعبية في تقرير مصير البلاد وحل مشاكلها الحقيقية . وهذا مفهوم ابعد ما يكون عن المنهج الطائفي وعن فكرة اقتسام الغنائم بين زعماء الطوائف والسياسيين . هذه المشاركة الوطنية تتمثل في اقامة دفاع وطني سليم ضد العدوان الاسرائيلي ، وفي الحد من تسلط الاستعمار الثقافي وتجارة العلم ، وفي مكافحة الغلاء والاحتكار ، وفي صيانة الحريات الديمقراطية وتوسيعها .

فكيف يطلب من اوضاع قائمة على عكس كل هذه المفاهيم الوطنية ان تتحقق فيها المشاركة الوطنية؟ وكيف يمكن ان تتحقق المشاركة الوطنية من غير اسس ومناهج وطنية ؟

والمشاركة التي يطرحها بعض السياسيين « غير المشاركين » قائمة ومتحققة بالفعل لانها من الدعائم التي يقوم عليها الوضع الحالي الذي هو شراكة بين السياسيين الطائفيين والاقطاع السياسي والاحتكار ومؤسسات الاستعمار الثقافي ، لا يغير من جوهرها شيئا ان فئة من هؤلاء استطاعت ان تقضم قطعة أكبر من « قالب الحلوى » . كما انه لا يغير من جوهرها شيئا الصراع الدائر بين اقطاب هذه الفئة او تلك للحلول محل بعضهم البعض في جنة الحكم .

وليس يطرب الطائفيين كالمناداة بالمشاركة من طائفيين اخرين ، لان ذلك يعزز الوضع الطائفي من حيث استقطاب الدعوة لجزء كبير من افراد الشعب وراءها ولو الى حين . وقد كان وجود بعض الطائفيين في الاصل مبررا لوجود البعض الاخر . اذا ضعف هذا ضعف ذاك والعكس صحيح ايضا .

وما دامت المشاركة في هذا النطاق فانها لن تحل شيئا من الازمات القائمة بل ستزيدها تفاقما .

سليمان الفرزلي